

وعده الله المُبين لعباده المؤمنين

خطبة يوم: ١٠ ربيع الأول ١٤٣٣

لفضيلة الشيخ العلامة المجاهد:

يحيى بن علي الحجوري

حفظه الله تعالى

فرغها:

أبو أحمد ضياء التَّيسِّي

عفا الله عنه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ءَلَا تَمُوتُنَّ ءَلَا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سُورَةُ الْغَنَةِ آيَاتُ : ١٠٢]، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ءَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَلْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سُورَةُ النَّسَبِ آيَاتُ : ١]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْعَامِ آيَاتُ : ٧٠ - ٧١]،

أما بعد: فإنَّ الله ﷻ له الفضل والمِنَّة وهو القائل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ ءَفِذْكَ ءَلَيْفَ رَحُومًا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ آيَاتُ : ٥٨] وهو القائل: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ءَلِلَّهِ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١١﴾﴾ [سُورَةُ الْحَجَّاتِ آيَاتُ : ٢١، سُورَةُ الْجُمُعَةِ آيَاتُ : ٠٤] وهو القائل: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عِلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [سُورَةُ النَّسَبِ آيَاتُ : ٧٠] فالله ﷻ فضله عظيم ومنته جزيلة ونعمه كثيرة: ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ تُمْرُّ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فَالِيهِ تَجْرُؤُنَ ﴿٥٣﴾﴾ [سُورَةُ الْبَحَلِكِ آيَاتُ : ٥٣] ومن نعم الله ﷻ وتكرمه وتفضُّله على عباده المؤمنين أَنَّهُ جعل على نفسه حقاً ومن ذلك الحق ما في الصَّحِيحِينَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «يا معاذ! أتدري ما حقُّ الله على العباد وما حقُّ العباد على الله؟» قال: الله ورسوله أعلم، قال: «حقُّ الله على العباد أَن يعبدوه لا يُشركوا به شيئاً وحقُّ العباد على الله أَن لا يُعَذَّبَ من لا يُشرك به شيئاً»^(١) هذا الحق الذي على الله ﷻ هو من فضله سبحانه هو من منته وكرمه وجوده ألا يُعَذَّبَ من لا يُشرك به شيئاً وقال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سُورَةُ يُونُسَ آيَاتُ : ١٠٣] فهذا الحقُّ كتبه الله على نفسه تفضُّلاً وامتناناً وتكرماً أَنَّ الله ﷻ جعل على نفسه هذا الحق أَن يُنَجِّيَ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٨﴾﴾ [سُورَةُ الْكَهْفِ آيَاتُ : ٩٨] وهذا الحق الذي كتبه على نفسه أَن وعده حقاً لا يُخلف ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾

(١) أخرجه البخاري: (٢٨٥٦) ومسلم: (٣٠).

[سُورَةُ الْحَجِّ : ٤٧] فهذا الحق يفرح به المؤمن الذي من الله عليه بالإيمان: ﴿كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَاجِي الْمُؤْمِنِينَ

﴿سُورَةُ يُونُسَ : ١٠٣﴾ وهذه النجاة ليست مخصوصة بالنجاة من النار - وإن كانت تلك أعظمها - ولكنها

عامّة في النجاة من كل مكروب ومن كل ضيق ومن كل بلاء كما نوحى الله ﷻ رُسُلَهُ يُنَجِّي أَتْبَاعَ رُسُلِهِ مِنْ

المؤمنين: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ﴾ أي: كما نجينا رُسُلَنَا نُنَجِّي أَتْبَاعَهُمْ كَذَلِكَ ﴿حَقًّا عَلَيْنَا

نُنَاجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿سُورَةُ يُونُسَ : ١٠٣﴾ فالله ﷻ حَفِيٌّ بِالْمُؤْمِنِ يُنَجِّيهِ وَيُدْفَعُ عَنْهُ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّا اللَّهُ

يُدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ ﴿سُورَةُ الْحَجِّ : ٣٨﴾ هذا من الحق الذي تفضّل به

ﷻ أنّه يُدْفَعُ عَنْ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ وَهَذَا وَعْدُهُ الَّذِي لَا يُخْلَفُ، وَقَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرِيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا

إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ ﴿سُورَةُ يُونُسَ : ٩٨﴾

[٩٨] هذا من الحق الذي تفضّل به ﷻ أنّ الذي يؤمن يُنَجِّيهِ وَيُكْشِفُ عَنْهُ الْخِزْيَ وَيُمَتِّعُهُ، قَوْمَ يُونُسَ

عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَبُّهُ قَوْمٌ كَانُوا غَاضِبِينَ نَبِيَّهُمْ وَكَانُوا عُصَاةً حَتَّىٰ تَرَكَهُمْ نَبِيَّهُمْ، غَاضِبٌ قَوْمَهُ وَذَهَبَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا

لَهُ فَلَمَّا ذَهَبَ نَبِيَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَتَوَقَّعُوا عَذَابَ اللَّهِ آمَنُوا بِاللَّهِ ﷻ وَصَلَحَتْ نَبَاتُهُمْ وَصَدَقَ إِيْمَانُهُمْ، وَفِي ذَلِكَ

الْحَالِ نَفْسُهُ وَجَمِيعُ الْأُمَّمِ الَّتِي حَصَلَ مِنْهَا مَا حَصَلَ مِنْهَا مِنْ قَوْمِ يُونُسَ مَعَ نَبِيَّهُمْ هَلَكُوا لِأَنَّهُمْ لَمْ يُسْرِعُوا الْفَيْئَةَ وَلَمْ

يُؤْمِنُوا إِيْمَانًا بِاللَّهِ ﷻ يَدْفَعُ الْغَضَبَ وَيُدْفَعُ الْعَذَابَ، قَوْمَ يُونُسَ وَفَقَّهَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُمْ آمَنُوا: ﴿لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ

عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ﴿سُورَةُ يُونُسَ : ٩٨﴾ وإلا فكان الخزي واقعا، كان مُرْتَبَأً عَلَىٰ فَعْلِهِمْ لَكِنْ وَعَدَ اللَّهُ

الَّذِي لَا يُخْلَفُ وَالْحَقُّ الَّذِي تَفَضَّلَ بِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﷻ كَتَبَهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ كَانَ هَذَا الْوَعْدُ فِي حَقِّ قَوْمِ يُونُسَ مُحَقَّقًا

حِينَ وَفَّقَهُمُ لِلْإِيْمَانِ كَشَفَ عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ وَمَتَّعَهُمْ زِيَادَةً عَلَىٰ ذَلِكَ إِلَىٰ حِينٍ وَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نَبِيَّهُمْ بَعْدَ أَنْ كَانَ

فِي لُجَجِ الْبِحَارِ وَأَبْدَلَ اللَّهُ ﷻ ذَلِكَ الْحَالَ بِحَالٍ آخَرَ لَمَّا غَيَّرُوا مِنْ حَالٍ سَوْءٍ إِلَىٰ حَالٍ أَحْسَنَ غَيَّرَ اللَّهُ حَالَهُمْ إِلَىٰ

الْأَحْسَنِ هَذَا مِنْ وَعْدِ اللَّهِ الْحَقِّ الَّذِي لَا يُخْلَفُهُ: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ ﴿سُورَةُ الْحَجِّ : ٤٧﴾ ونظير ذلك قول

اللَّهِ ﷻ: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ﴿سُورَةُ النَّبَاتِ : ١٤٧﴾

[١٤٧] فالله ﷻ ليس له حاجة إلى العباد ولا إلى تعذيب العباد إن آمن العباد وشكروا ربهم ﷻ ما يفعل الله

بعذابكم فهذا من الحق الذي كتبه على نفسه أنّه يُنَجِّي الْمُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِيْرَادُهَُا كَانَ

عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ ﴿سُورَةُ مَرْيَمَ : ٧١ - ٧٢﴾،

إِنَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَفْسِهِ نَجَاةَ الْمُؤْمِنِ؛ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَكْرُؤٌ مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (٥٠) فَأَنْظِرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْتَهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتَلَّكَ بِوَيْتِهِمْ

خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِيَّاكَ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ

﴿سُورَةُ التَّنْزِيلِ: ٥٠ - ٥٣﴾ فهذا من الحق الذي تفضل به ﷻ على عبده أنه نجى أمةً وأهلك أمةً وربما

يكون الهالك بجوار الهالك سواء في السكن أو في مركبٍ واحدٍ أو في سيرٍ واحدٍ أو موقعٍ واحدٍ أو في سائر الأماكن يُنجي هذا ويهلك هذا وما ذلك إلا أن المؤمن موعود من ربه وعد حق لا يخلف أنه يُنجيه وأنه يُدافع

عنه وأنه يُكرمه ويُعزّه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ﴿سُورَةُ فَاطِرٍ: ١٠﴾ فالعزة له والملك له والفضل له

ويعطي ذلك عبده المؤمن: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ: ٨﴾.

أيها الناس! إن وعد الله ﷻ للمؤمن من وثق به ازداد إيمانه وسعد في دُنياه وأخراه، أصحاب رسول الله

ﷺ تربوا على هذا الشأن العظيم؛ قال الله ﷻ واصفًا لهم: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ

الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ ﴿١٧٤﴾ -أبدأ- ﴿وَاتَّبَعُوا

رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿سُورَةُ الْغَنَجَرَانِ: ١٧٢ - ١٧٤﴾ وهذه الآية العظيمة فيها درسٌ مبارك

لكل مؤمن مُتدبرٍ لكتاب الله ﷻ فإن أصحاب الغزوة التي بعد أُحدٍ -غزوة حمراء الأسد- بعد أحد مباشرة

ودماؤهم تشخب وجراحهم فيهم مشخنة ودعاهم رسول الله ﷺ لاتباع المشركين حتى تظهر صولة المؤمنين على

المشركين وتقوى حُجَّتْهم وحتى يرتعب المشركون ويزدادون خورًا وضعفًا^(١) فهذه سنة الله في خلقه أنه إذا قوي

الحق ضعف الباطل وهذه من السياسة الشرعية أن النبي ﷺ مع ذلك الحال الذي هو فيه هو وصحبه ويستشير

أصحابه إلى حمراء الأسد بعد المشركين يتبعونهم ولما شعر المشركون وقد كانوا كارئين على المدينة راجعين أن

(١) أخرج البخاري -رحمه الله- (٤٠٧٧): عن عائشة رضي الله عنها، [في قوله ﷻ]: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ

مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿سُورَةُ الْغَنَجَرَانِ: ١٧٢﴾، قالت لعروة: يا ابن أخي، كان أبوك

منهم: الزبير، وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال: «من

يذهب في إثرهم» فانتدب منهم سبعون رجلا، قال: كان فيهم أبو بكر، والزبير).

محمداً وأصحابه بعدهم قالوا: (هؤلاء قوم لهم قدرة على المجالدة وليسوا منتهين عن القتال) فانصرفوا ويئسوا من القتال، هذا يدلُّ أن من سنَّة رسول الله ﷺ عدم الضَّعف أمام العدو ومن سياسته الشرعيَّة القوَّة أمام العدو فلمَّا كان كذلك وقام معه أناسٌ من أصحابه بجراحهم وأحوالهم وصفهم الله بهذه الأوصاف ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴿الإيمان يزداد بالتوكل على الله ﷻ وهذه الحالة موصوف فيها غاية التوكل﴾ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ أي: كافينا ربنا وهو نعم الوكيل؛ فحفظهم الله ودافع الله عنهم بوعده الحق ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [سُورَةُ الْحَجِّ : ٣٨] وَسَلَّمَهُمْ ﴿فَأَنْقَلِبُوا فِي نِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ رجعوا مُنعمٌ عليهم وسالمين حتَّى من جراحهم ما حصل لهم أضرار وفضل أيضاً من الله ﷻ ممَّا يتضمَّنه الدليل ﴿[وَفَضَّلِ] لَمْ يَمَسَّهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بالاستجابة للرَّسول ﷺ فجمعوا بين الاستجابة وجمعوا بين مواعيد الله ﷻ لهم بأنَّ الله أكرمهم أعزهم وسلَّمهم وغنمهم، سلَّمهم الله فيا لها من أدلة عظيمة إذا تدبَّرها المؤمن ازداد إيمانا كما ازداد هؤلاء إيماناً ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣)

إنَّ من وعد الله الحقُّ للمؤمن أنَّ الله ﷻ يَبْسُطُ عَلَيْهِ نِعْمَتَهُ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَأَنْ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقُوا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٩٦) [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ٩٦] وهذا وعد الله، والله ما تحقَّق الإيمان في قومٍ إلا بسط الله عليهم نعمته ظاهرةً وباطنةً وأسبغ عليهم خيرَه وفضله؛ هذا وعده الحقُّ الذي لا يُخلف بقدر ما عندهم من الإيمان والتقوى والتَّوحيد يسعدون وينعمون: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ (٨٢) [سُورَةُ الْأَنْعَامِ : ٨٢] وكُلَّمَا آمَنُوا بِاللَّهِ ﷻ وَعَمَلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ زَادَ إِيمَانَهُمْ وَقَوِيَّتْ ثِقَتُهُمْ بِاللَّهِ ﷻ وَهَذَا مِنْ وَعْدِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ وَعَدَ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَزِيدَهُ إِيمَانًا: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَلْقِيَّتُ الصَّالِحَتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ (٧٦) [سُورَةُ هُودٍ : ٧٦] هذا وعد الله.

ومن وعده لعبده المؤمن أنَّه ﷻ يغفر له: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (٨٢) [سُورَةُ طٰهٍ : ٨٢] وهذا يثق به كلُّ مؤمن، فالله ﷻ ما كان يُعذِّب عبده المؤمن الموحِّد بل يُكرمه ﴿مَا يَفْعَلُ

اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَعَاسَفْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴿سُورَةُ النَّبَاتِ: ١٤٧﴾، ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَعَاسِفَاتِهِ بِعَفْرِ لَكُمْ مِن ذُنُوبِكُمْ وَمُجْرَمًا مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴿سُورَةُ الْأَحْقَافِ: ٣١﴾ فهذا باب الإحارة من العذاب وباب النجاة والسلامة وباب الإكرام وهو باب الإيمان بالله ﷻ بوعده الحق الصادق الذي لا يخلف: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ ﴿سُورَةُ الْحَجِّ: ٤٧﴾.

من وعد الله ﷻ للمؤمنين أن ينصرهم ومن ظن أن الله ﷻ يخلف وعده فهذا من سوء الظن برب العالمين -نعوذ بالله-؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ ﴿سُورَةُ الْعَنْفَالِ: ٥١﴾ فالؤمن منصور في الدنيا والمؤمن منصور في الآخرة وما تزال حُجَّتُه قوِيَّةٌ وما يزال على ثبات في دنياه وأخراه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ ﴿سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: ٢٧﴾ هذا وعد الله أن الله ﷻ يثبتهم أينما كان في دنياه وفي أخراه ويقول الله ﷻ عن ذروة المؤمنين أنبياء الله ورسوله ومن كان على طريقتهم من ورثتهم في ذلك وهم أهل العلم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴿سُورَةُ الْبُرُوجِ: ٥٦﴾ فانظر كيف يصلون بحججهم حتى يوم القيامة بين يدي الله ﷻ، هذا من وعد الله أنه يثبتهم ويُقوي حُجَّتَهُم في الدنيا والآخرة.

إن من وعد الله ﷻ للمؤمن أنه يجعل له الودَّ وإن عاداه وإن أبغضه من أبغضه فإن ماله إلى أن الله ﷻ يرضى عنه ما دام يسعى في مرضاة ربه ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ﴿٩٧﴾ ﴿سُورَةُ هُودٍ: ٩٦ - ٩٧﴾ هذا الكلام العظيم أن الله سيجعل الودَّ لعباده وهذا القرآن أيضا الذي تتلوه مُيسَّرٌ بلسانك تُبَيِّنُهُ للناس وتتلوه على الناس وتُنذِرُ به المبغضين للحق ولأهل الحق الألداء الخصماء.

إن من وعد الله ﷻ للمؤمن أنه يتولاه؛ قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ ﴿سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٢٥٧﴾ فهذا من وعد الله وأظن أن كل من قوي إيمانه -ولا شك- أنه لا يحتاج إلى أكثر من ولاية ربه ﷻ فإن الله يملك نواصي العباد بيده يمسكها يقبضها يقبض العباد جميعاً السماوات والأرض جميعاً

وجميع المخلوقات: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ ﴾

[سُورَةُ فَاطِرٍ : ٤١] ، ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ﴾ [سُورَةُ الْجَبَابِرَاتِ : ٦٠] ، ﴿ مَا

مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ [سُورَةُ هُودٍ : ٥٦] فإذا حَقَّقت هذا الجانب

-جانب الإيمان- كنت في وعد الله الحقُّ أن الله ﷻ يتولَّى بولايته ويرعاك برعايته ويكألك بكلاءته وهذا فضلٌ

من الله ﷻ عليك كثير وتكون محفوظاً بحفظه فإذا كنت ولياً لله من أولياء الله ﷻ ومن مُحبِّيه: عادى من عاداك

ووالى من والاك وفي الحديث القدسي: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»^(١) يُحارب الله ﷻ عنك فإذا كان

أناس يُحارب عنهم أناسٌ آخرون؛ أنت حَقَّقت جانب الإيمان تدخل في وعد ربِّك حتَّى يُعادي من عاداك ويُحارب

عنك فيكون أعداؤك يُحارب عنهم أناسٌ بشر أذلاء فقراء عُصاة فجررة وأنت يُحارب عنك ربُّ العالمين ﷻ

«آذنته بالحرب» من عاداك حاربه الله لأنك دخلت في وعده الحقُّ أنه ينصرك: ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ

﴿٥٢﴾ [سُورَةُ غَافِلٍ : ٥١ - ٥٢]

[الخطبة الثانية:]

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده

ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً كثيراً أمّا بعد: في الصحيحين عن أبي هريرة ؓ قال:

«الإيمان بضع وستون شعبة فأعلاه قول لا إله إلا الله وأدناه إماطة الأذى من الطريق والحياء شعبة من

الإيمان»^(٢) وهذا دليلٌ على أنه كلما قوي الإيمان عند العبد قويت ثقته بالله ﷻ وكثر عمله الصالح هو مع غيره

من الأدلة، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَحْسَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَدَتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ﴾ [سُورَةُ الْمَائِدَةِ : ٣١] فكلما جاءت حُججُ الله وبراهين الله ﷻ وحقُّ وعده وتأكد

المؤمن من ذلك ازداد إيمانه وإذا حصل للمؤمن بلوى ازداد إيمانه وإذا حصل للمؤمن ضعفٌ ازدادت ثقته وإيمانه

(١) أخرجه البخاري: (٦٥٠٢) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه البخاري: (٩) ومسلم: (٣٥) عن أبي هريرة ؓ.

* فائدة: (بضع) في العدد بكسر الباء وبعض العرب يفتحها وهو ما بين الثلاث إلى التسع تقول (بضع سنين) و(بضعة عشر رجلاً) و(بضع عشرة امرأة). اهـ من (مختار الصحاح).

وهكذا، فهو مُتَرَدِّدٌ بين أحوالٍ طَيِّبَةٍ وإن كان الإيمان قد يزيد وينقص ولكن كلما ازداد الإيمان يحصل من الإنسان الثقة بالله والتوكل عليه، النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ سئل أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «إيمانٌ بالله ورسوله»^(١) وهذا هو البر الذي أخبر الله ﷺ به: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَأَيْتَمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّادِقِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ : ١٧٧]

هذا هو الإيمان الصادق؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الْأَنْفَالِ : ٢] فوعد الله مُحَقَّقٌ لمن حَقَّقَ الإيمان بالله ﷻ: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ : ٥٥] سواء كان في أوَّل الزَّمان أو في وسطه أو في آخره وعد الله لن يُخلف، والسكينة نازلةٌ على قلب هذا المؤمن: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعَدِ : ٢٨]، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِرَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَضْرُكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ۗ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ [سُورَةُ الْفَتْحِ : ١ - ٤] فهذا الإيمان إذا سكن في القلوب ازداد سكوناً وثباتاً وصارت له بشاشة، ووعد الله الحق الذي لا يُخلف والذي أثبتته في كتابه وتفضَّل به على عباده أنه كلما أُقبل الإنسان على ربِّه ازداد الله ﷻ إقبالا عليه وفي الحديث القدسي: «من تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»^(٢) نسأل الله ﷻ أن يدفع عنا الفتن ما ظهر منها وما بطن والحمد لله.

(١) أخرجه البخاري: (١٥١٩) ومسلم: (٨٣) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) أخرجه البخاري: (٧٥٣٧) ومسلم: (٢٦٧٥) عن أبي هريرة ؓ.